إضاءة

كي لا نتحوّل إلى ورق وحبر

حين تنطق الرواية

غاية الرواية أن تعمل عن طريق الحواس مجتمعة، فهذا الشكل الإبداعي ليس نتاج بحث في التاريخ فقط، بل هو عودة في الزمن إلى الماضي إن اقتضى الأمر، وهو أيضاً رحلة ومواجهة أمكنة نراها لأوّل مرة، وأناس لم يسبق لنا معرفة أنهم على هذا الكوكب

محمد الأسعد

في مقالة للكاتبة والقاصة الأميركية فلانيري أوكونر (1925 - 1964)، ضمن مجموعة مقالات تحمل عنوان «لغز وأساليب» ورد وصفٌ مقتضب للكيفية التي تعمل بها الرواية كما يلي: «عن طريق الحواس تعمل الرواية، وأحد الأسباب التي تجعل الناس يجدون صعوبة في كتابة القصص هو أنهم ينسون كم يتطلب الإقناع بوساطة الحواس من وقت وصبر...». وتنقل الكاتبة البريطانية ذات الأصل الجامايكي لورا فش (مولودة في عام 1964) هذا الشاهد/الوصف إلى مقالة لها حملت عنوان «سمكة خارج الماء» وتضيف: «إن تعامل الرواية مع ما يمكن رؤيته، وسماعه، وشمّه، ولمسه، هو أول خصائصها وأشدها وضوحاً».

وجاء توظيف لورا فش لهذا الشاهد لأنّها معنية بالتفكير في معنى المكان والانتماءِ منذ اكتشفت أنّ إحساسها بمكان ميلادها وانتمائها إحساسٌ باهت، قبل أن تعرف أنّ والديها ولدا في غيانا وجامايكا، فتدرك سر هذا الإحساس، وتركز عملها الروائي على طريقة مماثلة لتلك التي وصفتها أوكونر، أي أنها كما تقول، تبث الحياة في شخصيات أعمالها الروائية باستحضار أمزجة ومشاعر بوساطة حواس سمعية وبصرية وذوقية ولمسية... إلخ، لخلق إحساس بالمكان.

وتصف لورا فش كيفية مقاربتها لإبداع إحساس بالمكان في رواياتها بالقول إن روايتها الثانية، «موسيقى غريبة»، لم تكن نتاج بحث تاريخي فقط، بل نتاج زيارة إلى بلد لم تكن فيه من قبل مطلقاً، مثلما كان الأمر مع روايتها الأولى «طيران طيور التم السوداء» التي تقع أحداثها في أستراليا. في روايتها الثانية، كانت مواجهتها الأولى لبيت تاريخي معين ودخوله بالنسبة لها أشبه بعودة في الزمن إلى الوراء، وتساءلت هل يمكن أن يحظى الإنسان بإحساس وطيد بالمكان بوساطة مواد بصرية؟ صور أو أفلام؟ الإجابة... نعم، ولكن لا شيء يضاهي تجربة أن يكون المرءُ هناك بين الناس، ويشاهد الطريقة التي ينعكس فيها الضوء، أو عمق البؤس أو الغضب أو الحزن، في عيونهم.

هنا تشديدٌ على الحواس أيضاً، ليس حاسة البصر فقط، بل والسمع والشم والتذوق، وكأن الرواية تودّ أن تنطق بكامل عناصرها، لا بالعنصر الكلامي فقط، بل وبما هو ماثل وشاخص حتى إن لم يصدر صوتاً أو حركة. يذكر هذا بمقولة عجيبة للفيلسوف الألماني فريدريك جورج هيغل (1770-1831) نصها: «ينظر التمثالُ الأعمى بجميع جسده». جاءت هذه المقولة في ختام مقارنته بين التمثال ذي العينين، والتمثال ذي المحاجر الخاوية الذي ليس له عينان ينظر بهما، فتبدو الحياة وكأنها تفيض على جوارح هذا الأخير.

السكون، حتى مع وجود حركة ما أحياناً، يكاد يكون هو منتهى الجمال، وليس هناك ما يؤكد هذا النوع من السكون الذي يفيض بالحياة غير الصورة، إلى الدرجة التي دفعت الكاتب الفرنسي أناتول فرانس (1844-1924) إلى القول: «ليس على الصغار أن يقرأوا الكتب، هناك أشياء جديرة بأن يشاهدوها ولم يسبق لهم أن رأوها؛ الأنهار والجبال والبحيرات، والمدن والأرياف، والبحر وسفائنه، والسماء وكواكبها»، كأنه يدعو إلى تشغيل الحواس كلها وتعطيل مَلَكة الكلام عن الأشياء. من هنا نفهم تشديد أوكونر على أن الرواية تعمل عن طريق الحواس، ويحضر المكان حسب لورا فش، عن طريق الحواس أيضاً، ويفيض التمثال ذو المحاجر الخاوية بحياة تشمل كل أعضائه، وأن على الصغار، والكبار أيضاً أن ينظروا إلى عناصر الكون من حولهم، لا أن يتحوّلوا إلى ورق وحبر، ولكن هل الإحساس بالمكان غاية بحد ذاته؟

لوحة لـ حبيب بلاك، رسم على الزجاج

ثمة شيء ينقص هذا التوصيف للكيفية التي تعمل بها الرواية، وكيف يجسّد السكونُ الجميلَ وهو يستبعد حتى الأصوات. صحيح أننا نحتاج إلى عناصر بصرية وذوقية وسمعية وحسية حين نذهب إلى تقديم سرد فني لا مجرد سلسلة أخبار، ولكن ثمة عنصر في الرواية قد لا يكون مشعوراً به حتى الآن على صعيد فهم الفن الروائي؛ عنصر الأدوار التي يمثلها الروائي وهو يمضي في سرده، نعني فعل المشاركة الإنسانية. يتضمّن هذا العنصر بالضرورة الحضور في المكان، ولو تخيلاً، وليس إجراء بحث تاريخي فقط، ويتضمن، وهذا هو الأكثر أهمية، قدرة على التقمص، سواء كان تقمّص الشخصيات، أو الأشجار، والبحيرات، والأنهار، والجبال... وبقية مظاهر الطبيعة، وقدرة التقمص تعني فيما تعنيه، تشغيل الحواس بكامل طاقتها.

> تعامُل الرواية مع ما يمكن رؤيته وسماعه من أبرز خصائصها

> على الكاتب أن ينهض بكلّ الأدوار، من الشخصيات إلى الأشياء

علينا، كما يقول الياباني شاعر الهايكو ماتسو باشو (1644- 1694)، حين ننظر كشعراء إلى شجرة صنوبر أن ندخل فيها، أي أن نتحوّل إلى شجرة صنوبر إن أردنا أن نكتب قصيدة هايكو موضوعها هذه الشجرة.

التمثيل، والتقمص هو التجلي الأمثل له، يعني أن الروائي وهو يكتب، يكون كمن يقوم بأدوار شخصيات روايته، الإنسانية وغير الإنسانية. فحين يتناول رجلاً يكون في لحظة من اللحظات هذا الرجل، والأمر نفسه مع كل شخصية أخرى، وحين يتحدّث عن نهر يكون هو النهر ذاته.. وهكذا.

في هذا الفعل تتعدد المشاهد والشخصيات، والأزمنة والأمكنة، والممثل واحد، وعليه أن ينهض بكل الأدوار إن أراد أن يكتب عملاً فنياً حقاً، لا تقريراً صحافياً، وهو في كل ذلك يقظ ومنتبه بكامل حواسه لينقل إلى مشاهد متخيل، أو قارئ، ليس صوراً فقط، بل الحياة النابضة بكل شيء، بدءاً من ورقة شجرة، مروراً بحفيف نسيم، وصولاً إلى أناس بعضهم حيٌّ، وبعضهم عائدٌ إلى الحياة، وحتى حين يقتضي دورٌ من الأدوار تقمص حالة موت، أو فناء، أو تلاشي الأشياء والكائنات، سيتقدم الكاتب بلا تردّد، فالحياة والموت وجهان لعملة واحدة، ويمثل دور الربيعَ الآفل، والبحّار الغريق، والمرأة القتيلة، والصبي الضائع... إلى آخر ما هنالك من مواقف. هنا لا يَمْثُل إحساس بالمكان فقط، بل إحساس بالوجود بكامل امتلائه، وهذه هي غاية الرواية التي تعمل عن طريق الحواس مجتمعة، الرواية التي تحدثت عنها فلانيري أوكونر، الرواية التي هي ليست نتاج بحث في التاريخ فقط، بل عودة في الزمن إلى الماضي إن اقتضى الأمر عودة، أو رحلة، ومواجهة أمكنة نراها لأول مرة، وأناس لم يسبق لنا معرفة أنهم على هذا الكوكب، كما في رواية لورا فش.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

صِلة سردية بالوجود

يتجاوز الروائي المحسوسات، يتجاوز مجرّد النظر، على الرغم من أنها وسائل إدراكه، ويدعها تتراسل كما لو أن إحداها تحلّ محلّ الأخرى، تماماً كما يحدث التراسل والتبادل بين الممثّل ومَن يؤدي أدوارهم. إنّ الإقناع من طريق الحواس ليس إرغام المشاهد أو القارئ على الإحساس كما نحسّ، بل أن ينظر ويرى، بالمعنى الذي ذهب إليه أناتول فرانس، وهو ينصح الصغار قبل الكبار بالالتفات إلى ما هو جدير بالرؤية، أي إقامة صلة حيّة بالوجود.

وقفة مع

عبّاس عبد الغني

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

بغداد ـ **العربي الجديد**

عبّاس عبد الغني

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

يشغلني عمل مسرحي أعمل عليه الآن، وهو نص إبداعي يحمل أفكاراً جديدة تُحاكي الواقع الراهن الذي يشغل العالم الآن.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر كتاب صدر لي هو «المتجلّي وتمثّلات المخفي في العرض المسرحي» (2019). عملي القادم نصّ مسرحي أعمل عليه الآن، كما أشتغل على سيناريو فيلم، وهو تجربة أولى في الكتابة الفيلمية.

■هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

لستُ راضياً بالقدر الكافي عن نتاجي. الفنان العربي عموماً يعاني من نقص كبير في تقييم فنه ونتاجه الإبداعي. الفنان العربي . رغم الجانب الإبداعي . يعاني من أزمات اقتصادية كبيرة، وهي تؤثّر في استمراريّته الفنية.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

لديّ حلم أقرب إلى يوتوبيا: أن يكون هناك دولة خاصّة بالفنانين تجمعهم جميعاً، ليفيض منهم نور التعبير الحرّ، ونظرة التفاؤل في تغيير العالم. ستكون هذه الجمهورية كدولة الفاتيكان: فإذا كانت هذه دولةً تقتصر على الدين، فإنّ الجمهورية التي أقترحها تقوم ممارساتها على الفن. لا يلجأ فيها إلّا المبدعون الحقيقيون، لهم فيها منزل وجواز سفر خاص بالفنان يتيح له حرية التنقّل بعيداً عن محدّدات السياسة وتبِعاتها المقيّدة للفنان.

> أحلم بحرية التنقل لكلّ فنّان بعيداً عن محدّدات السياسة وقيودها

■ لو قيّض لك البدء من جديد، أيّ مسار كنت ستختار؟

سأختار نفس المسار: المسرح والسينما. المسرح عنصرٌ مهمّ لتنوير العالم بأفق جديد.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

الدكتور عمر الطالب، أستاذ النقد والأدب الذي تعلّمتُ منه التعامل مع الفن، وهو أوّل من كتب مقدمة لكتابي الأول «الموجز في المسرح الإغريقي» وتنبّأ بي ككاتب ومؤلّف وفنّان مسرحي. أريد لقاءه لأريه نتاجاتي في التأليف والمسرح والسينما العالمية.

■ صديق يخطر في بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

الصديق هو سعد شمدين آغا؛ هو فنان تشكيلي، وكنا نتسابق معاً في قراءة الروايات العالمية، كرواية «الطاعون» لألبير كامو. أمّا الكتاب الذي أعود إليه دائماً فهو كتاب علي الوردي «مهزلة العقل البشري».

■ ماذا تقرأ الآن؟

أقرأ في مجالات متعددّة؛ علم الاجتماع تارةً وتارةً أخرى في اللغة. تعلُّمُ لغةٍ دافع كبير للعقل نحو التطور والإنتاج والتقدّم. كما أنّني أقرأ باستمرار في التقنيات الحديثة للسينما وسبُل تطوير المسرح عبر السينما.

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

أسمع السيدة فيروز دوماً، فهي ترياق النهار والليل. أقترح من أغانيها «أعطني الناي وغنّ». كما أحبّ سماع أغاني ماجدة الرومي.

بطاقة

باحث عراقي في الدراسات المسرحية من مواليد الموصل عام 1975. من مؤلّفاته: «الموجَز في المسرح الإغريقي» (2009)، و«دراسة المسرح» (2012)، و«الأيقوني والمتخيَّل في الفلسفة والأدب والمسرح» (2015)، و«المونتاج السينمائي في العرض المسرحي» (2017)، و«المتجلّي وتمثّلات المخفي في العرض المسرحي» (2019).

كتاب

روبرت فينتوري العمارة إذ تتصالح مع التاريخ والثقافة

في مقاومة الضجر الحداثيّ

قدّم المعماري الأميركي (1925 – 2018) في كتابه رؤية تجديدية للعمارة بوصفها مسعىً واقعياً يمكنه اختيار طرق لمعالجة مشاكل الحياة المعاصرة

عمّان ـ **العربي الجديد**

بحلول منتصف القرن العشرين، تكشّفت أزمة الحداثة كما وصفها بعض المعماريين، حين بدأت تظهر عيوبها الوظيفية، وباتت بساطتها ونمطيّتها قديمةً، تحتاج إلى إعادة نظر كونها لا تتناسب مع التغيّرات التي طرأت على مفهوم المدينة وضرورة تشكيلها كمكان قابل للحياة خارج منطق التسليع الذي فرضته الرأسمالية.

من بين هؤلاء، برز المعماري الأميركي روبرت فينتوري (1925 – 2018) الذي اعتُبر كتابه «التعقيد والتناقض في العمارة» (1966) بمثابة مانيفستو يقدّم رؤية تجديدية للهندسية المعمارية بوصفها مسعىً واقعياً يمكنه اختيار طرق لمعالجة المشاكل التي تطرحها الحياة المعاصرة، متخلّصةً بذلك من نزعتها المثالية التي سادت لعقود طويلة.

ما زال الكتاب مثار جدل وخلاف في تاريخ العمارة، حيث أعيد طبعه عدّة مرات مع مقدّمات مختلفة تشير إلى أفكار مهمّة مهّدت الطريق لعمارة ما بعد الحداثة، كما ترجمته إلى العربية سعاد علي مهدي بعد سنوات قليلة من زيارة فينتوري إليها وتصميمه مباني عدة فيها، لتصدر حديثاً طبعة ثانية من الكتاب عن «المؤسّسة العربية للدراسات والنشر».

دعا فينتوري إلى التعامل مع الحداثة كجزء من سلسلة متّصلة من الاستجابات لظروف اجتماعية وتاريخية معيّنة، وإلى إضفاء الطابع النسبي إليها، حيث رأى ضرورة فهم وظائف العمارة من خلال علاقتها بمحيطها، وضرورة أن يُستمد جَوُّها من المفارقات والتعقيدات التي لا يزال هناك مكانٌ لها في معمار اليوم، مستنكراً التبسيط المفرط الذي مثّلته مباني القرن العشرين لاعتبارات التقليل من التكلفة أو استخدام أشكال معيارية متكرّرة.

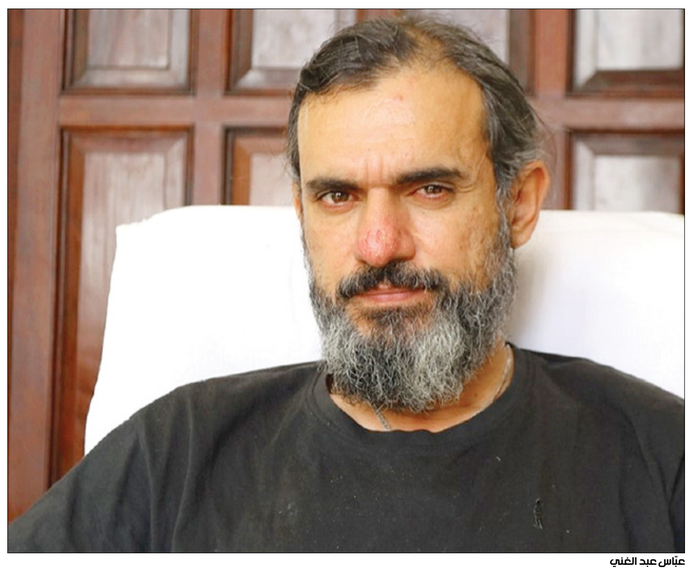

وعارض أيضاً الرؤى التي بُنيت على نقاء الأسلوب والوظيفية البحتة للبناء، والتي أنتجت معنى أحادياً للعمارة منفصلاً عن الواقع ومتغرّباً عن سياقاته، ومتجاهلاً مشاكل الحياة التي على المعماري أن يستند في تصميمه إلى مقاربات حيّة وموضوعية معها قد تنزع إلى حدّ السخرية والدعابة، وتُقيم علاقة إيجابية مع تاريخ البناء والثقافة اليومية لساكنيه. اليوم؛ يُستعاد خطاب فينتوري الذي بدا صادماً في الستينيات وتمّت مقاومته بشراسة من خلال إعاقة تنفيذ العديد من مشاريعه في مدينة نيويورك، حيث حرّر هذا الخطاب الممارسة المعمارية التي تخلقها دوغمائية السلطة وتحالفاتها مع رأس المال، وأسّس لمدارس تصميم جديدة تقوم على التعدّدية وتجذّر ارتباطها بالبيئة والمجتمع، ومقاربة الماضي بمنظار جديد، من خلال أسلوب تحليله لعمارة الحاضر، وتحليله لعمارة الماضي مقارنةً بالحاضر، واستلهام التراث وتوظيفه بشكل فعّال في العمارة المعاصرة. وطبّق صاحب كتاب «العمارة كعلامات وأنظمة» (2004/ مشترك) رؤيته ضمن مشاريع عديدة، منها تصميم جامع الدولة الكبير في بغداد عام 1983، الذي تضمّن انقلاباً مفاهيمياً وجمالياً في عمارة المسجد، حيث صمّم قبّته على الأرض، وتعامل معها كجزء من مفردات صحن المسجد، وليست عنصراً تزيينياً، إلى جانب مبنى شارع الجمهورية ذي الطوابق الثمانية الذي استفاد من تجميع عناصر مختلفة من الشارع البغدادي وتوليفها في تصميم واحد. يقارن فينتوري في كتابه العمارة بالشعر، ويشير إلى إمكانية الاستفادة من أساليب نقد الأدب في نقد العمارة، بما في ذلك النقد الذاتي الذي يُعدّ ذا أهمّية قصوى في عملية الخلق، وهو أسمى أنواع النقد وأكثرها فاعلية، مقدماً تصوّرات ما زالت موضع بحث ودرس، حول واقعية العمارة التي يجب ألّا تستسلم إلى التبسيط الذي يبعث على الضجر.

> عارض الفهم الوظيفي للبناء كما ساد في القرن العشرين

روبرتو فينتوري خلال تصوير فيلم عن مسيرته (مايكل بلاكوود، 1987)

فعاليات

يستضيف «مترو المدينة» في بيروت عند التاسعة والنصف من مساء اليوم عرضاً لفرقة **فرانكو آراب** تُؤدّي فيه أغانيَ ظهرت خلال ستينيات القرن الماضي في مصر ولبنان ضمن موجةٍ مزجت بين ألحان غربية وإيقاعات شرقية، مثل أغنية **لوليتا** لعبد العزيز محمود، و«مصطفى يا مصطفى» و«علي بابا» لمحمد فوزي.

يُطلق فضاء **6 باب شرق** في القاهرة عند التاسعة من مساء بعد غدٍ السبت برنامج **في حبّ نجيب محفوظ** الذي يتواصل حتى العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. يتضمّن البرنامج 12 جلسة نقاشية تتبّع بناء الأسلوب عند الروائي المصري (1911 - 2006) و تطوّره وانتقاله من مرحلة الرواية الكلاسيكية إلى الرواية الذاتية، من خلال تحليل الشخصيات وبنية المكان والزمان.

حتى الثالث من كانون الثاني/ يناير المقبل، يتواصل المعرض الاستعادي للنحّات الإسباني **إدواردو تشييدا** (1924 - 2002) في غاليري «هاوزر وويرث سومرست» بلندن، والذي افتتح في السادس والعشرين من حزيران/ يونيو الماضي، ويضيء إسهاماته في تجديد اللغة البصرية للنحت ما بعد الحرب العالمية الثانية.

تُختتم مساء الخميس المقبل الدورة الأولى من **الملتقى الدولي للنحت**» التي انطلقت في بنزرت التونسية أمس الأربعاء ويشارك فيها حوالي 50 نحّاتاً و تشكيلياً عربياً، منهم **طاهر هدهود** (الجزائر)، و**علي رضا سعيد** (العراق)، و**علي الجابري** (عُمان)، والعديد من الفنانين التونسيين، مثل **علي الزنايدي** (العمل).